الحياة السياسيَّة والإداريَّة لأهل الذِّمَّة في عصر مُلُوك الطَّوائف (٤٢٢-٤٧٩هـ/١٠٣٠-١٠٨٦م)

الباحثة/ عائشة مدرك صالح الصيعري

كلية الآداب – جامعة الدمام

الأوضاع السياسيَّة في عصر ملوك الطوائف:

بعد انهيار الخلافة الأُمَوِيَّة في عام (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) انفرطتْ وَحْدَةُ البلاد الأندلُسيَّة، وكان سقوطها إنذارًا بظهور عصر الطوائف، الذي تسميه بعض المصادر بـ: (أيام الفرق)[١]، وتشرذمت الأندلس إلى دُوَيْلاتٍ وممالكَ طائفيةٍ متناحرةٍ، وصل عددها إلى ثلاث وعشرين دولة[٢].

ورصدت المصادرُ التاريخية الحالةَ التي وصلتْ إليها البلاد من التمزُّق والضعف والهوان، فيصف أحدُهم الوضع بقوله: «وانقطع مُلْكُ بني أُمَيَّة بعد الأربعمائة بأعوامٍ يسيرةٍ، فصار كلُّ مَن غلب على موضع ملكه، واستبعد أهله، وكثُر فيها المِراءُ، فضعفوا وصاروا خولاً للنصارى، يُؤَدُّون إليهم أضعافَ ما كان يأخذون منهم اليوم»[٣].

وتأتي رواية عبد الله بن زيري، آخر أمراء غَرْناطَة مشيرةً إلى الانقسام الذي حلَّ بالبلاد بقوله[٤]: «وبقي الناس لا إمام لهم؛ فتنافَسُوا على الدنيا، وطمع كل واحد في الآخر...».

---

(١) أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، الجزء الخاص بالأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري، مدريد، ع١٣، ١٣٨٥هـ - ١٣٨٦هـ/١٩٦٥-١٩٦٦م، ص ٧٨.

(٢) زامباور، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي**، إخراج زكي بك، وحسن محمود، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ص ٨٦-٩٢. (انظر مُلْحَق رقم ٦).

(٣) يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، (القاهرة: السعادة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، ص ٣٥.

(٤) عبدالله بن بلقين بن زيري، **التبيان**، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال (د. ط، مصر: دار المعارف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص ١٨.

ولعلَّ من أهم القضايا التي تميَّز بها هذا العصرُ: الصراعات الدموية بين أُمرائها، مما أسهم في إضعافها، وقد وصف أحدُ المؤرخين ذلك بوصف رائعٍ قال فيه[١]: «وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسُد والغيرة، ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات»!

واستمرتْ حالة الفوضى السياسيَّة في عصر الطوائف ما يربو عن الثمانين سنة، في صراعٍ دائمٍ، وتشرْذُمٍ خطيرٍ، وتعاوُنْ مع الممالك النصرانية؛ حفاظًا على العروش الضعيفة الواهية، لذلك لم يَتَوَرَّعوا عن سفك الدماء، ومقاتلة المسلمين[٢]! ويصف ابن الكردبوس[٣] هذه الحالة بقوله: «وكان أسرّ شيء عند الفنش (ألفونسو)[٤]: فتنة تقع بين الوُلاة من المسلمين، فيُعين هذا على هذا، وهذا على هذا، فَيَتَجَلَّب بذلك أموالهم؛ طمعًا من أن يعجزوا، فيظفر بمُلْك الجزيرة كلها».

وقد اتسمت الدُّوَيْلات في هذا العصر بأنها هَشَّةٌ تفتقر إلى قاعدة تضمن لها كيانًا سياسيًّا صلبًا، له وجودٌ اجتماعيٌّ مستقلٌّ، وحكم كل منها – في الغالب – أسرة ما، يتوارثها أبناؤها، وكان لكل حاكم وُزراؤُه وكتَّابُه، وقضاته وقوادُه، ورجال مملكته وعصبته، وكان لكلِّ مملكة عاصمةٌ، هي إحدى القواعد الأندلسيَّة، تتبعها مناطقُ أخرى حولها من المدن والقرى والحصون[٥]، كما أنَّ صِغَر مساحتها، وقلَّةَ عدد سكانها،

---

(١) أبو عبدالله لسان الدين ابن الخطيب السلماني، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الخاص بالأندلس**، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، (ط٢، بيروت: دار المكشوف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)، ص ٢٤٤.

(٢) إبراهيم بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي**، (ط١، بيروت: دار الطليعة،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص١١٨.

(٣) **مصدر سابق، ص٧٨.**

(٤) ألفونسو السادس ملك قشتالة، وحد الممالك الإسبانية كما في عهد أبيه فرناندو الأول، آخر معركة خاضها ضد المسلمين هي موقعة أقليش سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م بينه وبين المرابطين، توفي سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م، محمد عبدالله عنان، **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** (ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص ص٣٩٤-٤٠١.

(٥) يبدو تأثر التقسيم الحالي لإسبانيا بهذا التقسيم لملوك الطوائف، حيث تقسم إلى (١٧) منطقة حكمًا ذاتيًّا تتمتع فيه باستقلال في إدارة شؤونها الاقتصادية والمحلية، ولكل منطقة علَمُها الخاص وشعارها، وهي: أراغون(Aragón)، أستورياس(Asturias)، أندلوسيا(Andalucía)، قشتالة وليون (Castilla y(León)، كاستيا لا منتشا (Castilla-La Mancha)، إقليم الباسك((País Vasco، إكستريمادورا(Extremadura)، كانتابريا(Cantabria)، بَلَنْسِيَة(Comunidad Valenciana)، جزر البليار(Islas Baleares) غاليسيا(Galicia)، كتالونيا(Cataluña)، لا ريوخا(La Rioja)، مدريد(Comunidad de Madrid)، مرسية(Región de Murcia)، نافارا(Navarra)، عبد الرحمن الحجي، **التاريخ الأندلسي**،(ط٢، دمشق: دار القلم، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م) ص٣٥٤.

وطبيعةَ حكوماتها التي تفتقد إلى الشرعية، وعدم توافرها على قوة عسكرية للدفاع عن حدودها[١] – كل ذلك جعل منها مجموعات إقليمية سريعةَ الزوال، شبيهة بالدُّوَيْلات الإقطاعية في أوروبا[٢].

وانقسمت الأندلسُ من الناحية الإقليمية بعد سقوط الخلافة الأُمَوِيَّة إلى ست مناطق رئيسة، الأولى: منطقة العاصمة القديمة قُرْطُبَة (Cordoba)[٣]، وما إليها من المدن والأراضي الوسطى، والثانية: منطقة طُلَيْطِلَة (Toledo) [٤] أو الثغر الأوسط، والثالثة إِشْبِيلِيَة (Sevilla)[٥] وغرب الأندلس وما إليها حتى المحيط الأطلسي، والرابعة: غَرْناطَة (Granada)[٦]، رَيَّة (Regio) [٧]، والفرنتيرة (La Frontera)[٨]،

---

(١) محمد بن عبود، **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري** (د. ط، تطوان: مطبعة النور، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) بدرو شلميطا، **صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة مصطفى الرقي (ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ج٢، ص١٠٤٢؛ عنان، **دول الطوائف**، ص٤١٨.

(٣) قُرْطُبَة: تقع على سهل مرتفع في سفح جبل قرطبة، المعروف بجبل العروس، وهي عاصمة الخلافة الإسلامية منذ الفتح الإسلامي، يحدها من الشمال طُلَيْطِلَة وبَطَلْيَوْس ومن الجنوب مَالَقَة وقَرْمُونَة ومن الشرق غَرْناطَة، ومن الغرب إِشْبِيلِيَة، وتعتبر من أكثر المناطق الزراعية إنتاجًا في إسبانيا؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، (د. ط، بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج٤، ص٣٢٤. السيد عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** (ط١، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص١٥.

(٤) طُلَيْطِلَة: مدينة في شمال الأندلس، وتسمى بالثغر الأوسط، وتعتبر من الدول الحدودية، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، وتقع على ضفة النهر الكبير، وكانت تعتبر قاعدة القوط ودار مملكتهم، منها كانوا يغزون عدوهم، وإليها كان يجتمع جيوشهم؛ محمد بن عبدالمنعم الحميري، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق ليفي بروفنسال (ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ص ص١٣٠-١٣٣.

(٥ (إِشْبِيلِيَة: قاعدة الجانب الغربي من الجزيرة الأيبيرية، وبها نزل جند من حمص فسميت إِشْبِيلِيَة بحمص نسبة لهم، يَحُدُّها من الشمال بَطَلْيَوْس، ومن الجنوب مَالَقَة وقادش، ومن الشرق قُرْطُبَة، ومن الغرب وَلْبَة، وكانت إِشْبِيلِيَة قديمًا فيما يزعم بعضهم مقرًّا لملك الروم؛ الحموي، **مصدر سابق**، ج١، ص١٩٥.

(٦) يحدُّ غَرْناطَة من الشمال مملكة طُلَيْطِلَة، ومن الجنوب تطل على البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق مملكة ألمَرِيَّة، ومن الغرب مملكة مالَقَة ومملكة قُرْطُبَة، بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً (٦٤ كيلو مترًا تقريبًا)، وهي من مدن إِلْبِيرة، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس، وقد بنى قصبتها حبوس الصنهاجي، ثم خلفه ابنه باديس فكملت في أيامه، وبينها وبين إِلْبِيرة ستة أميال (٩ كيلو مترات تقريبًا)؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٢٣.

(٧) رَيَّة: وتكتب أيضًا رَيُّه، كورة من كور الأندلس، جنوب الوادي الكبير، نزلها جند العرب من الأردن، وهي كثيرة الخيرات؛ **المصدر نفسه**، ص٧٩؛ ابن الأبار أبو عبدالله محمد بن أبي بكر القضاعي، **الحلة السيراء**، نشر وتحقيق حسين مؤنس، (ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ج١، ١٥، ص٦٣.

(٨) الفرنتيرة: منطقة تمتد جنوبي شريش مما يلي شاطئ المحيط، وهي عبارة عن بسائط تتخللها التلال المنخفضة؛ محمد عبدالله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال** (ط٢:القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ص٣٠٢.

والخامسة: منطقة شرقي الأندلس أو منطقة بَلَنْسِيَة (Valencia) [١]، وما إليها شمالًا وجنوبًا، والسادسة: منطقة سَرَقُسْطة (Zaragoza)[٢] والثغر الأعلى، وكل منطقة مما سبق تضم إمارة أو أكثر من إمارات الطوائف، وتختلف من حيث المساحةُ والأهميةُ السياسيَّةُ، والعسكريةُ، والاجتماعيةُ[٣].

كما انقسمتْ هذه الدُّوَيْلات من حيث العناصرُ إلى ثلاث طوائف، على النحو التالي:

١- **الطائفة الأولى:** وهم أهل الأندلس، وشملت الممالك التالية: بنو جهور في قُرْطُبَة، وبنو عباد في إِشْبِيلِيَة، وبنو هود في سَرَقُسْطة.

٢- **الطائفة الثانية:** وهم العنصر البربري، وشملت الممالك التالية: بنو ذي النون في طُلَيْطِلَة، وبنو الأفطس في بَطَلْيَوْس (Badajoz)[٤]، وبنو زيري في غَرْناطَة.

٣- **الطائفة الثالثة:** وهم موالي العامريين، وشملت الممالك التالية: بنو طاهر في مُرْسِيَّة (Murcia)[٥]، وبنو صُمَادِح في ألمَرِيَّةْ (Almeria)[٦].

وإذا تتبعنا تاريخ هؤلاء الملوك فسنجد أن المسلمين بالفعل تفرقت كلمتهم بعد الجماعة، وتفرد كلٌّ ملك بمملكته، وعاون البعض منهم الممالك الإسبانية على

---

(١) بَلَنْسِيَة: مدينة في شرق الأندلس، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس، وهي اليوم ثالث المدن الإسبانية بعد مدريد وبَرْشَلُوْنَة، منطقة زراعية وصناعية، وتبعد عن مدريد ٤٩٠ كيلو مترًا؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٤٧؛ عنان، **الآثار الأندلسية**، ص٩٣.

(٢) سَرَقُسْطة: تَتَمَتَّع بموقع إستراتيجيٍّ مهم، فقد كان يعبر منها أربعة أنهار، وهي الآن مركز تجاري وصناعي مهم تربطها مواصلات حديدية مع مدريد وبَرْشَلُوْنَة وبلنسية، ولا تحمل تلك المدينة الآن أية مسحة أندلسية سوى بعض الآثار؛ كقصر الجعفرية الذي بناه المقتدر بن هود أحد ملوك الطوائف، ويستعمل هذا القصر في وقتنا الحالي كثكنة عسكرية ومخزنٍ للسلاح؛ علي بن موسى بن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، نشر وتحقيق شوقي ضيف (ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)، ج٢، ص٤٣٤؛ عنان، **الآثار الأندلسية**، ص ص١٠٤-١٠٥.

(٣) عنان، **دول الطوائف**، ص١٧.

(٤) بَطَلْيَوْس: وهي من إقليم مَارِدَة، وقد بناها عبدالرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذنٍ من الأمير عبدالله له، وبُني سورها من التُّراب ثم من الكِلْس والجَنْدَل؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٤٦.

(٥) مُرْسِيَة: قاعدة تُدْمِير بناها الأمير عبدالرحمن بن الحكم، والذي تولى بناءها جابرُ بن مالك بن لبيد، وتقع على نهر كبير، وهي اليوم من مدن إسبانيا الكبرى، وهي عاصمة الولاية الأندلسية المسماة بهذا الاسم، ولا توجد فيها آثار أندلسية ذات شأن، فلم يبقَ من أسوارها، وأبوابها، وصروحها القديمة شيء، ولا توجد سوى بقايا لبعض الحمامات العربية؛ **المصدر نفسه**، ص١٨١؛ عنان، **الآثار الأندلسية**، ص٩٩.

(٦) ألمَرِيَّةْ: مدينة أمر ببنائها الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وبُنى حولها سور حصين ومنيع، وهي أشهر مراسي الأندلس وأعمرها؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ص ١٨٢-١٨٤.

بني جلدتهم من المسلمين، فكان هؤلاء الملوك يقدمون مصالحهم وأهواءهم على مصالح المسلمين، نتيجةً لذلك كانت النهايةُ حتميَّةً لهؤلاء الملوك بدخول المرابطين إلى الأندلس والسيطرة عليها.

السُّكَّان في عصر مُلُوك الطوائف:

اشتمل المجتمعُ الأندلسي خلال فترة الدِّراسة على عناصرَ اجتماعيَّة مُتعدِّدة؛ سواء من أهل البلاد الأَصْلِيِّين، أو العناصر التي وفدتْ على الأندلس، واستقرتْ بها منذ الفتْحِ الإسلاميِّ، وخلال الفترات التي تلتها، وهم العرب والبربر والمولدون والصقالبة وأهل الذمة من اليهود والنصارى. ويتَّضِح لنا من خلال المصادر التاريخيَّة أن هذه العناصر قد طرأ عليها الكثيرُ مِن التحوُّل والتغيير، منذ أن تَمَكَّنَ المسلمون من ضَمِّ هذه البلاد إلى حكم الدولة الإسلامية إلى الوُصُول لعصر مُلُوك الطوائف، متأثرةً في ذلك بما طرأ على البلاد من تحوُّلات وتغيرات سياسيَّة واقتصاديَّة.

وقد تميزت الحضارة الإسلامية بعدة مميزات كان من أبرزها قدرتها على الامتزاج الحضاري بين الشعوب التي تعاملتْ معها، وهذا الامتزاج لم يكتسبوه في تعاملهم مع غيرهم إنما بتطبيق مبادئ راسخة منطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية، فعند فتح المسلمين لبلاد الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وعلى إثر قدرتهم في الامتزاج تكونتْ عناصر جديدة في المجتمع الأيبيري من: عرب، وبربر، ومولدين، وصقالبة، وأهل ذمة (نصارى، ويهود)، كل فئة كانتْ لها حرية اجتماعية في التعايش[1] والاندماج مع بعضها البعض بما كفلتْه لهم الدولة الإسلامية من حقوق اجتماعية كفرد من أفراد المجتمع الأندلسي.

---

(١) والتعايُش بمعناه اللغوي، مشتق من [عيش]، والمعيشة التي يعيش بها الإنسانُ من مطعمٍ ومشربٍ وما تكون به الحياة، وتعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة منها التعايُش السلمي.أما التعايُش في الاصطلاح، فقد عُرِّف بأنه: اتِّفاقُ الطرفين على تنظيم وسائل العيش – أي: الحياة فيما بينهما وفق قواعد يُحَدِّدانها، وتمهيد السُّبُل المؤدية إليه، إذ إن هناك فارقًا بأن يعيش الإنسان مع نفسه، وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الأخيرةِ يُقَرِّر المرءُ أن يدخل في عملية تبادُلية مع طرف ثانٍ، أو مع أطرافٍ أخرى، تقوم على التوافق حول مَصالحَ، أو أهدافٍ، أو ضرورات مشتركة، كما يعني: تفهُّم الفرد والفئة الاجتماعية أنه يمكن أن توجد معه في المجتمع أفراد أو مجموعاتٌ مختلفون معه في الرأي، ويختلفون عنه في رؤيتهم في الحياة يتقبَّلهم، ويحترم رأيهم، ويعترف لهم بحقوقهم كاملة، ويشترط في طبيعة هذا التقبُّل ألاَّ يكون جبريًّا أو بحراسة سلطةٍ ما، وإنما يكون نابعًا من قناعة مُؤَدَّاها أنَّ الجميعَ مُتساوون في الحقوق والواجبات ويكون التعايُش بين مجموعةٍ مختلفةٍ في الدين، أو اللون، أو الطائفة، أو القومية، والذي يعنينا في البحث هو غير المسلمين؛ أي: الذين يختلفون مع المسلمين في الدين، ويُقصد بهم: الذين يعيشون مع المسلمين في بلادهم، وهم إما أصحاب ديانة سماوية؛ وهم اليهود والمسيحيين، أو أصحاب ديانة وثنية؛=

موقف الإسلام من أهل الذمة:

تعني الذِّمَّة في الإسلام لغة: العقد، قال أبو عبيد الذِّمَّة: هي الأمان في قوله ﷺ «ويسعى بذمتهم أدناهم» (١)، وتعني العهد لأن نقضه يوجب الذم، ومنه يقال: أهل الذمة(٢).

كما أنه يعني: الأمانة والضمانة والكفالة، والذمي الذي أعطي الذِّمَّة، وهو الذي أُمن على ماله وعرضه ودمه ممن يعطون الجزية(٣)، ويأتي بمعنى الحق والحرمة، وأهل الذمة هم المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم(٤).

ويكون عقدُ الذِّمَّة بإقرار الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب أو غيرهم من الكفار على كفرهم بشرطين، الأول: الالتزام بأحكام الإسلام في الجملة(٥)، على أن يَجريَ عليهم حكم الله ورسوله، حيث إنَّ العقدَ لا يُجيز لهم المعامَلات المحظورة كالربا والغش والتزوير، وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا ما فعلوا ذلك(٦)، والشرط الثاني: أن يَلْتَزِمُوا بدَفْع الجِزْيَة(٧)، وإذا تَمَّ هذا العقدُ ترتَّب عليه حُرمة قتالهم، والحفاظ على أموالهم، وصيانة أعراضهم، وكفالة حرياتهم، والكف عن أذاهم؛ لما رُوِيَ عن

=مثل: المجوس والهندوس وغيرهم. أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، نشر وتحقيق عبد السلام محمد هارون، (د. ط، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ج٤، ص١٩٤؛ مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (ط٤، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)ج١، ص٦٣٩/ عبدالعزيز التويجري، **الحوار من أجل التعايُش**، (ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٧٨/ محمد عبدالله آل عبد اللطيف، **ضرورة التعايُش**، جريدة الجزيرة، العدد ١٥٠٩٠، (٢٠ ربيع الأول ١٤٣٥هـ/٢١-١-٢٠١٤م)، ص٣٢/ صبحي الكبيسي، عبدالله الحديثي، **(الوسائل الاقتصادية في التعايُش مع غير المسلمين في الفقه الإسلامي)**، مجلة مداد الآداب، ع٣، بغداد، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٣٢٤.

(١) أبو بكر محمد بن عبدالقادر الرازي، **مختار الصحاح** (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص١٠٠؛ الراوي :علي بن أبي طالب ، خلاصة الدرجة: صحيح، المحدث: أبي داوُود، المصدر :سنن أبـي داوُود، الـرقم: ٤٥٣٠؛الإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، **سنن أبي داوود**، حققه وضبطه وخـرج أحاديثـه شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل (طبعة خاصة، دمشق: دار الرسالة العلمية،١٤٣٠ه/٢٠٠٩م)ج٦،ص ص٥٨٦-٥٨٧.

(٢) أبو البقاء أيوب بن موسى الكَفَوي، **الكُلِّيَّات**، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٤٥٤.

(٣) بطرس البستاني؛ **قطر المحيط** (د. ط، بيروت، د. نا، ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) ص ص٦٩٩-٧٠٠.

(٤) مجمع اللغة العربية، **مرجع سابق** ، ص٣٢٧.

(٥) السيد سابق، **فقه السنة**، (د. ط، جدة: مكتبة الخدمات الحديثة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٣، ص ص١٦٩-١٧٠.

(٦) حسن الممي، **أهل الذمة في الحضارة الإسلامية**، (ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٢٧.

(٧) السيد سابق، **مرجع سابق**، ج٣، ص ص١٦٩-١٧٠

عليٍّ رضي الله عنه: «إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا»، والقاعدة العامة التي رآها الفقهاءُ أنَّ لهم ما لنا، وعليهم ما علينا(١).

والجِزْيَةُ مُشتقة من الجزاء، وهي مبلغٌ من المال يوضع على مَن دَخَل في ذِمَّة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب(٢)، ولقد شُرع عقدُ الذِّمَّة بعد فتْح مكة في السنة التاسعة للهجرة(٣) بنزول قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ من الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٤).

وتتجلى الحكمةُ من مشروعيتها في تركِ القتال مع احتمال دخول الذمي للإسلام بحكم مخالطته للمسلمين، واطلاعه على شرائع الإسلام(٥)، كما أن فرض الإسلام الجزية على الذِّمِّيين في مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان؛ لأن المسلمين والذميين يستظلون براية واحدة، ويتمتعون بجميع الحقوق، وينتفعون بمرافق الدولة، وبذلك أوجب الله الجِزْيَة للمسلمين نظيرَ قِيامهم بالدفاع عن الذميين، وحمايتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون بها، ولهذا تجب بعد دفعها حمايتهم والمحافظة عليهم، ودفع من قصدهم بالأذى(٦)، وتجب الجزيةُ على الرجال الأحرار والعقلاء، ولا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المجنون؛ لأنهم أتباع وذراري(٧)، ولا تجب على شيخٍ ولا أعمى ولا مريضٍ لا يرجى شفاؤه(٨)، وتجب الجزيةُ في آخر السنة، ولا يطالبون بها قبل ذلك بعد انقضائها بشهور هلالية(٩)، وتؤخذ الجزية من أهل الكتاب والمجوس، وكان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قد توقف عن أخذ الجزية

---

(١) **المرجع نفسه**، ج٣، ص ص١٦٩-١٧٠

(٢) **المرجع نفسه**، ج٣، ص١٧٢.

(٣) عبد الكريم زيدان، **أحكام الذميين والمستأمنين**،(د. ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ص٢٢-٢٣.

(٤) **سورة التوبة** ، آية ٢٩.

(٥) زيدان، **مرجع سابق**، ص٢٢-٢٣.

(٦) السيد سابق، **مرجع سابق**، ج٣، ص١٧٢.

(٧) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية**، نشر وتحقيق أحمد البغدادي، (ط١، الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) . ص١٨٣.

(٨) شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، نشر وتحقيق يوسف البكري، شاكر العاروري (ط١، الدمام: رمادي للنشر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، م١، ص١٦١.

(٩) الماوردي، **مصدر سابق**، ص١٨٥.

من مجوس هجر، حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخذها من مجوس هجر، ولقد نزلت آية الجزية على رسولنا الكريم في السنة التاسعة للهجرة، بعد أن أسلمت جزيرة العرب، ولم يبق بها أحدٌ من عباد الأوثان، فلما نزلتْ أخذها النبي ممن بقي على كفره من النصارى والمجوس، ولهذا لم يأخذها من يهود المدينة حين قدم المدينة ولا من يهود خيبر؛ لأنه صالحهم قبل نزول آية الجزية[١]، والرسولﷺ عندما ضرب الجزية على أهل الكتاب والمجوس لم يطالبهم بها حتى ضربها عليهم، ولم يلزمهم بأدائها في الحال وقت نزول الآية، بل صالحهم عليها، وكان يبعث رسله فيأتون بالجزية، واستمرت على ذلك سيرة خلفائه من بعده، وهذا مقتضى قواعد الشريعة وأصولها؛ فإن الأموال التي تتكرر بتكرر الأعوام إنما تجب في آخر العام لا في أوله كالزكاة والدِّية[٢].

أما الأصنافُ التي تُؤخذ من الجزية، لا يؤخذ لا ذهب ولا فضه، بل يجوز أخذها مما تيسر من أموالهم من ثياب وسلاح يعملونه وحديد ونحاس ومواش وحبوب، والرسول عليه الصلاة والسلام عندما بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم دينارًا أو عدله معافر[٣]، وأهل نجران لم يأخذ من جزيتهم لا ذهبًا ولا فضة، إنما الحلل والسلاح، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأخذ الجزية من كل ذي صنعة من متاعه من صاحب الإبر إبرًا، ومن المِسَان مسانًا[٤]. ومن صاحب الحبال حبالاً[٥].

وأقلُّ الجزية مقدرة بالشرع، وأكثرها مقدرة بالاجتهاد[٦]، ومن سماحة الإسلام أنه لا يحل تكليف أهل الذمة بما لا يقدرون عليه، ولا تعذيبهم، ولا حبسهم، ولا ضربهم لأداء الجزية[٧]، ولقد أمر الرسولُ عليه الصلاة والسلام الرفق بهم؛ فقد رُوِيَ أن

(١) ابن القيم، **مصدر سابق**، ص ص٨٠–٩٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ص١٤٨.

(٣) ثياب معافرية يمنية؛ **المصدر نفسه**، ص١٢٩.

(٤) جمع مسن وهو كل ما يسن به أو عليه؛ **المصدر نفسه**، ص١٣١.

(٥) **المصدر نفسه**، ص١٣١.

(٦) الماروردي، مصدر سابق، ص١٨١.

(٧) ابن القيم، **مصدر سابق**، ص١٣٧.

الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»[١].

ولقد اشترط في عقد الجِزْيَةِ شرطان؛ مستحق ومستحب، أما المستحق فستة شروط، هي: ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له، ولا يذكروا رسول الله بتكذيب له أو ازدراء، ولا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا القدح فيه، ولا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح، ولا يفتنوا مسلمًا عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا لدمه، ولا يعينوا أهل الحرب ولا يؤوا عيناً لهم، ويكون ارتكابها نقضًا للعهد[٢]، أما المستحب فستة شروط، هي: تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار[٣]، ولا يعلون على المسلمين في الأبنية، ويكونون إن لم ينقصوا مساوين لهم، ولا يسمعونهم أصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزير والمسيح، ولا يجاهرونهم بشرب خمورهم ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم، وأن يخففوا دفن موتاهم، ولا يجاهروا بالندب عليهم ولا نياحة، وأن يمنعوا من ركوب الخيل عناقًا وهجاناً، ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير[٤].

والشروطُ المُسْتَحَقَّة استهدفتْ في أساسها حماية الإسلام والجماعة الإسلامية، كما أنها تتفق في مجموعها مع روح الشريعة، أما المستحبَّة فواضح أنها من وضع الفقهاء في مرحلة متأخرة، مغالاة منهم في فرض القيود على غير المسلمين؛ إذ إنَّ أهل الذِّمَّة لم يلزموا بالغيار في عهد النبي عليه الصلاة والسلام[٥]، وبالإضافة لأهل الذمة كان هناك أهل العهد الذين إذا دخلوا دار الإسلام يعطون الأمان على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا أربعة أشهر بغير جزية، ولا يقيمون سنة إلا بجزية، ويلزم الكف عنهم كأهل الذِّمَّة، ولا يلزم الدفاع عنهم، بخلاف أهل الذِّمَّة[٦]. ويتميَّز دينُنا الحنيفُ بصبغة جميلة من التسامُح، فالإسلامُ عندما فرض الزكاة فرضها على المسلمين عمومًا، من رجالٍ ونساءٍ، والمسلمُ عندما يُخرج زكاته كان يُخرجها عن أهل بيته من أطفال ونساء،

---

(١) الراوي :عدة من أصحاب النبي ﷺ ، خلاصة الدرجة: حسن، المحدث: أبي داوُود، المصدر :سنن أبي داوُود، الرقم: ٣٠٥٢؛ أبو داوود، **مصدر سابق**، ج٤، ص٦٥٨.

(٢) الماوردي، **مصدر سابق**، ص١٨٤.

(٣) حزام يشده النصراني في وسطه؛ المعجم الوسيط، **مرجع سابق**، ص٤٠٣.

(٤) الماروديِ، **مصدر سابق**، ص١٨٥.

(٥) قاسم عبده قاسم، **أهل الذمة في مصر**، (د. ط، القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٢٥.

(٦) الماروديِ، **مصدر سابق**، ص١٨٥

أما الجِزْيَةُ فلم تُفرض على نساء أهل الذِّمَّة ولا الشيوخ ولا الأطفال، إنما كانت تُفْـرَض على الرِّجال، وهذا فيه نوعٌ من التيسير على الذِّمِّيين، وإبعاد المشقة والأذى عنهم .

أهل الذِّمَّة في الأندلس:

استَعْمَلَتْ كتُب المصادر مفاهيمَ ومصطلحات عديدةً للتعبير عن أهـل الذِّمَّـة فبالنـسبة للنصارى، فإن هذه المفاهيم هي: النصارى(١)، الذِّمِّيُّون، المـدجنون، العجـم الكفـار، الروم(٢)، العُلُوج المعاهدون، الصقالبة، والحشم، وأهل المهادنة، وأطلق على اليهود اسم الذميين والإسلاميين، ويقصد بهم أولئك الذين اعتنقـوا الإسـلام، واحتفظـوا بـبعض عاداتهم وتقاليدهم، وظلوا منعزلين عن بقية المسلمين(٣).

أ) النصارى:

وهم نصارى الإسبان، وقد كانوا يتكلمون العربية؛ لذلك سُـمُّوا بالمـستعربين، وكان العربُ يسمونهم بعجم الذِّمَّة، أما من كان له عهد فقد سموا بالمعاهـدين(٤)، ولـم يكن مصطلح العجم يطلق على نصارى الأندلس، بل شـمل نـصارى شـبة الجزيـرة الأيبيرية جميعًا(٥).

ولفظ مستعرب – جمعه مستعربون – لم يَظْهَرْ فـي النـصوص أو الكتابـات الرسمية، إلا في زمنٍ متأخرٍ، على خلاف ما يظن، وربما كان اللفظُ جاريًا على الألسن في اللغة الدارجة، ولقد ظهَر هذا اللفظ ابتداءً من القرن الخـامس الهجـري / الحـادي عشر الميلادي، ثم في كتابات نصارى الأندلس سواء باللاتينية أو الإسـبانية القديمـة، بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك تمييزًا للنصارى الأندلسيين من أهل النواحي التي استولى عليها مُلُوك إسبانيا النصرانية عن القشتاليين والفرنجـة،

---

(١)؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى المرَّاكُشي، **البيان المغرب من أخبار الأندلس والمغرب**، نـشر وتحقيـق ج.س كولان و ليفي بروفنسال (ط٤، بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ج٣، ص٢٣٢.

(٢) ابن الكردبوس، **مصدر سابق**، ص٧٨.

(٣) عمر بنميرة، **جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية**، الأندلس قرون مـن التقلبـات والعطـاءات، (ط١، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) القسم الأول، ص٧.

(٤)السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم**، د.ط، الإسكندرية: مؤسسة شـباب الجامعـة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، ص١٣٠.

(٥) خميسي بولعراس، **الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف (٤٠٠هـ-٤٧٩هـ/١٠٠٩م-١٩٨٦م)** ، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر بـ باتنه (الجزائـر)، ١٤٢٧-١٤٢٨هـ/٢٠٠٦-٢٠٠٧م)، ص٥٤.

وهم المهاجرون إلى إسبانيا النصرانية من أهل غالة (فرنسا)، ممن أقبل على الاشتراك معهم في حرب المسلمين، ثم استقر في النواحي التي استغلها النصارى، وأصبح من أهلها، وكان مُلُوك النصارى يميزون رعاياهم من القشتاليين وحلفائهم من الفرنجة عن نصارى الأندلس الإسلامي، الذين دخلوا في طاعتهم، فقد كان أولئك الأخيرون مستعربون ثقافة ولساناً وأسلوبَ حياةٍ، وكانتْ لهم طُقُوسهم الدينية الخاصة، ورجالُ دينٍ يُقِيمُون صلواتهم على أسلوب خاص، وبلغة خاصة، هي عجمية أهل الأندلس، وهي خليط من الأيبيرية والرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والقوطية والعربية، ثم أُلْغِيَتْ هذه الطقوسُ، وفُرِضَتِ الطقوسُ الكاثولكية واللغة الكاثولكية على نصارى إسبانيا جميعًا[(١)]، وقد اتخذ هؤلاءِ النصارى أسماءً عربيةً إلى جانب أسمائهم المسيحية، وبحكم معرفتهم للغتين العربية والرومنثية لعبوا دورًا هامًّا في نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك الإسبانية، وبذلك انتشرتْ عاداتُ وثقافةُ المسلمين هناك[(٢)].

ويَذْكُر لنا ابن الخطيب[(٣)] طريقةً عيش هؤلاء النصارى في إِلْبِيرة(Ilbira) [(٤)]، فهم يزرعون الأراضي، ويعملون بالبناء، ويرأس هؤلاءِ النصارى شيوخٌ من دينهم، أصحاب حنكة ودراية بالجباية، كما أنَّ هناك كنيسةً اتخذها أحدُ زعمائهم مشهورةً بعمارتها المتميزة، وبَقِيَتْ حتى دخول المرابطين بحيث تم هدمها سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، وقبل دُخُول المسلمين إلى الأندلس كان شعبها أوروبيًّا نصرانيًّا في غالبيته العظمى، يَضُمُّ مجموعاتٍ قليلةً من اليهود، وكان داخلاً في نطاق الغرب الأوروبي الذي نشرتْ فيه روما حضارتها ولغتها، وكان متجهًا بإيمانه نحو روما عاصمة المسيحية الغربية، وكان يَدين للولاء للكنيسة الكاثولكية، ويتحدث لغة رومانية

(١) حسين مؤنس، **فجر الأندلس** (ط١، بيروت: دار المناهل، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ، ص٤٦١.

(٢) مريم قاسم طويل، **مملكة غَرْناطة في عهد بني زيري**، (ط١، الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٢٤٧.

(٣) ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غَرْناطَة**، نشر وتحقيق محمد عبدالله عنان (ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٣١هـ/١٩٧٣م) ج١، ص ص١٠٧-١٠٨.

(٤) إِلْبِيرة: من كور الأندلس نزلها جند دمشق من العرب، وكثير من موالي الإمام عبدالرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطتهم العرب بعد ذلك، خربت إِلْبِيرة أثناء الفتنة، وانفصل أهلها إلى مدين غَرْناطَة؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٢٩.

أيبرية، يغلب عليها الطابعُ الرومانيُّ، سماها العربُ أول سَماعهم لها بـــ: العجميـــة أو عجمية أهل الأندلس، وعندما زادتْ معرفتهم بها سَمَّوها: اللطينية(١).

أما أهم المدن الإسبانية المسلمة فكانت تتكون أساسًا من نواة مركزية مُحاطـــة بأسوارٍ عرفت باسم: المدينة، وكان يقعُ فيها المسجدُ الجـــامعُ، والقيـــصريةُ، والـــسوقُ الرئيسةُ، التي كان يتفرع منها شوارعُ ضيقةٌ، وأسواقٌ ومجموعةُ أرباض مستقلة نـــسبيًّا وغير متصلة بها اتصالاً كاملاً، وكانت تلك الأرباضُ تحتاج في معظم الأحيـــان إلـــى سُورٍ لحمايتها مستقل عن السور الذي كان يحيط بالمدينة نفسها، وقـــد نـــشأتِ المدينـــةُ وأرباضُها من تلاحُم الأحياء أو الحارات المتباينة الأبعاد والمساحة، وقد تكـــون أحيانًـــا ضيقة جدًّا إلى حدِّ أنها كانتْ أقل عرضًا من الشوارع، ومُزَوَّدة على أطرافهـــا بـــأبوابٍ تُغْلَقُ ليلاً(٢).

وكلمة (ربض) (٣) التي اشْتُقَّتْ منها الكلمةُ الإسبانيةُ أرابال تَـــرِدُ فـــي معظـــم المعاجم العربية بمعنى الكلمة الإسبانية نفسها، ومعناها: الضاحية الواقعة خارج مركـــز المدينة السكني، وفي الأندلس كانت الأرباضُ لها المعنى نفسه دون ريب، ويلاحظ أنهم اعتادوا إطلاق هذه التسمية على الضواحي الواقعة داخل النواة المركزية المُسَوَّرة، وقـــد تَجَمَّع الأهالي في الضواحي والأرباض علـــى حـــسب اعتقـــاداتهم الدينيـــة؛ أربـــاض المستعربين، وأرباض اليهود، وحسب الأصل ربض الغمار، وربـــض زناتـــه بمدينـــة غَرْناطَة، وربض صنهاجة بسَرَقُسْطَة، وكذلك حسب أمراضـــهم المزمنـــة المـــشتركة؛ ربض باب البرص، أو باب المرضى بغَرْناطَة، وكان يتكرر تجمُّعهم حـــسب ميـــولهم وأنشطتهم التجارية والصناعية والإدارية، مثال لذلك: ربض الطرازين، وربض حاشـــية الملك، وربض الحلاقين بطُلَيْطِلَة، وربض تجار الدين بمَالَقَة (Malaga)(٤)، وربض أو

(١) مؤنس، **فجر الأندلس**، ٤٥٣.

(٢) ليوبولدو تورس بالباس، **المدن الإسبانية الإسلامية**، ترجمة إليو دورو دي لابنيا (ط١، الرياض: مركز الملـــك فيـــصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٣م) ،ص٢٥٧.

(٣) الرَّبَض: ماحَوْلَ المدينة، وقيل: هو الفضاء حَوْل المدينة، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د.س)، م٣، ص١٥٥٩.

(٤) مَالَقَة: مدينة أندلسية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ويحدها من الجنوب، عليها سورٌ صخري وهي بغاية الحصانة والمنعة، وهي الآن مركز صناعي وتجاري هام؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٧٨؛ عنان، **الآثار الأندلسية**، ص٢٤٢.

حارة الدباغين بسَرَقُسْطَة، وربض البيازين بغَرْناطَة، والفخارين في قُرْطُبَة وإِشْبِيلِيَة وغَرْناطَة[١]، واستقر المستعربون في المدن الأندلسية وفي الأرياف والمناطق الجبلية والمحافظة الشرقية وفي أرغون (Aragón)[٢]، التي بها العديد من المستوطنات المأهولة بالنصارى فقط[٣].

كانت المجتمعات النصرانية تتمتع بنوعٍ من الاستقلال الذاتي، كما كانوا يحتفظون بدينهم وبقوانينهم القوطية غالبًا تحت سلطة الأساقفة والأمراء النصارى، كما يقومون بدفع الجزية، وكان في الأوساط الريفية قرى كاملةٌ يَقْطُنها المستعربون، أما في المدن فكانوا يختلطون بباقي السُّكَّان أحيانًا، وأحيانًا أخرى في مجموعات أو أحياء مستقلة داخل المدينة أو خارجها، وقد سهل هذا النظام عملية تحصيل الجِزْيَة منهم[٤].

وفي مدينة وشقة (Huesca)[٥] كان المسلمون يسكنون أعلى المدينة، وكان موقعًا محصنًا بسور حجريٍّ، وفي عصر لاحق بُني سور آخر من الأحجار حول السور الأصلي، واستقر المستعربون بين السورين بجوار كنيسة سان بيدرو العجوز، وما زال في الموقع الذي كان حيًّا للمستعربين بقايا من التنظيم الخاص بالمدن الإسبانية المسلمة ذات الشوارع الضيقة الملتوية، التي ليس لبعضها مَخْرَجٌ، كما كان جزءٌ منها مُغَطًّى بالطوابق العليا فوقها، فكانت المنازلُ مُتَّصِلةً ببعضها من جانبي الشارع في طوابقها العليا[٦]، وفي سَرَقُسْطَة كان داخل المدينة حيٌّ للمستعربين في شمال غربها، ولقد اختلط نصارى سَرَقُسْطَة بالمسلمين كما في طُلَيْطِلَة[٧].

وفي مدينة تُطِيلَة(Tudela) [٨] انصهر سكانُ الأديان الثلاثة، وكان بها عددٌ كبيرٌ من المستعربين وفي لارِدَة(Lerida)[١]، وطُرْطُوشَة(Tortosa)[٢]، وشَقُنْدَة

(١) بالباس، **مرجع سابق**، ص ص٢٥٧-٢٦١.

(٢) أَرَغُون: اسم بلاد غَرْسِيَة بن شَانْجَة تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٢.

(٣) بالباس، **مرجع سابق**، ص٢٩٣.

(٤) **المرجع نفسه**، ص٢٩٦.

(٥) وَشْقَة: مدينة بالأندلس لها سوران من حجر، بينها وبين سَرَقُسْطَة خمسون ميلاً (٨٠ كيلو مترًا تقريبًا)؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس** ، ص١٩٤.

(٦) **المرجع نفسه**، ص٢٩٩.

(٧) **المرجع نفسه**، ص٣٠١.

(٨) تُطِيلَة: مدينة أندلسية شمال وَشْقَة وبين الشمال والشرق من مدينة سَرَقُسْطَة؛ الحميري **صفة جزيرة الأندلس**، ص٦٤.=

(Siguenza)[٣]، وبلَنْسِيَة يوجد بها ربضان للمستعربين؛ ربض الرصافة شرق المدينة، وربض الرايوسة جنوب المدينة، وربض الكنيسة الذي تغنى به الشعراءُ المسلمون بجماله وخضرته، وكان هناك اثنان آخران شمال المدينة على الضفة الأخرى لنهر التوريا، وهما: ربض بيانوبيا الذي دمر السيد جزءًا منه سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣ م، والربض القريب من الكدية التي احتلَّ العرب غير الموالين للسيد جزءًا منه بعد أن استولى على بَلَنْسِيَة، وهناك ربض في مدينة الجزيرة اسمه: الكنيسة، كان مليئًا بالمستعربين، وعلى حدود هذا الربض مقَبْرَة إسلامية، وكان الربضُ ذا بساتين، وذا طابع ريفي، وكان يقع على الطريق القديم المؤدي إلى مدينة شَاطِبَة (Jativa) [٤]، وأيضًا هناك في مُرْسِيّة ربض الرشاقة، وهناك ربض فرانكوس بطُلَيْطِلَة، وفي وَشْقَة باب حارة القومس عند السور الخارجي للمدينة، وهو شمال غرب المدينة، ويحده شمالاً الطريقُ المؤدِّي إلى إيربي وحدود كنيسة سان ثيبريان، وكان يقع بالقرب منها حيٌّ لليهود[٥]. كان المستعربون منتشرين في أنحاء الأندلس في غَرْناطَة والمَرِيَّة وسَرَقُسْطَة وطُلَيْطِلَة وطُرْطُوشَة ووَشْقَة ولاردَة وبَلَنْسِيَة، ولقد اختلط النصارى بمدينة سَرَقُسْطَة بالمسلمين كما في مدينة طُلَيْطِلَة[٦].

وقد كان عدد المستعربين أثناء الفتح الإسلامي أكثر؛ أي: خلال القرن الثاني الهجري، ولكن مع حلول القرن الخامس الهجري أصبح الأندلس بلدًا إسلاميًّا بأغلبيته

=(١) لاردَة: في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة بُنيت على نهر يخرج من أرض جِلِّقِيَّة يُعْرف بشيقر، وكانت مدينة لاردَة قد خربت وأقفرت، فجدد بنيانها إسماعيل بن موسى بن لب بن قَسِي سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٣م، وحصنها منيع، لا يُطمع بطول حصارها، وبأعلاه مسجد جامع متقن البناء بني سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م. **المصدر نفسه**، ص١٦٨.

(٢) طُرْطُوشَة: مدينة بالأندلس منها إلى بَلَنْسِيَة مائة وعشرون ميلاً (١٩٣ كيلو مترًا تقريبًا)، مسيرة أربعة أيام، ومنها إلى طَرَكونة خمسون ميلاً (٨٠ كيلو مترًا تقريبًا)، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلاً (٣٢ كيلو مترًا تقريبًا)، وهي في سفح جبل، ولها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وضياع، وتنشأ المراكب من خشب جبالها، وبجبالها يوجد خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظيرٌ في الطول والغلظ؛ **المصدر نفسه**، ص١٢٤.

(٣) شَقُنْدَة: قرية بعدوة نهر قرطبة قبالة القصر؛ أبو بكر محمد بن عمر بن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط١: القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٢ه/١٩٨١م) ، ص٢٠.

(٤) شَاطِبَة: مدينة تقع في شرق الأندلس، وشرق قُرْطُبَة، وهي مدينة كبيرة وقديمة، ويقال: إن اشتقاقها من الشَّطبة، وهي السَّعَفَة الخضراء الرطبة؛ الحموي، **مصدر سابق**، ج٣، ص٣٠٩.

(٥) بالباس، **مرجع سابق**، ص ص٢٦١-٣٠٤.

(٦) **المرجع نفسه**، ص ص٣٠١.

الساحقة، وهذا يعود إلى دُخُول الكثير منهم في الإسلام، وهجرة جماعات منهم إلى المناطق التي تخضع لسيطرة الحكم النصراني[١].

ب) اليهود:

تَعَرَّض اليهود لاضطهادات أثناء حكم القوطيين لشبه الجزيرة الأيبيرية، خصوصًا بعد قرارت المجلس الكنسي الذي عقد في إِلْبِيرة سنة (٣٠٣ -٣٠٤ م)، وتتمثل هذه القرارات في أنْ لا يخالطَ النصارى اليهود في المسكن والمأكل، وألا يسمح لرجال الدين اليهود أن يُباركوا محاصيلهم كما في السابق[٢]، ولقد طبقتْ هذه القرارات فعليًّا مع تولي الملك ريكاردو السلطة بين عامي (٥٧٤-٦٠١م)، فقد اعتنق هذا الملك المسيحيةَ، وفي آخر حكمه تقدم باقتراحات للمجلس الكنسي الثالث الذي انعقد عام ٥٨٩م بمدينة طُلَيْطِلَة، وكانتْ قرارته تهدف إلى تشديد اضطهادهم بسبب كرهه لهم، فمنع مشاركة المسيحي لليهودي في أي نوعٍ مِن العمل، ومنع الزواج بهم، ووضع إشارات عليهم لتمييزهم عن المسيحيين، وعتق أي عبد مسيحي لدى أي يهودي وفصل جميع اليهود الموظفين في خدمة الحكومة القوطية، وأصدر قرارًا بعدم تعيينهم مستقبلاً، وأصبحتْ هذه القرارات قانونًا في الدولة، ولكن التنفيذ لم يكن صارمًا. ثم تولَّى الحكم بعد ريكاردو سيسبت (١٠-١٥هـ/٦٣١-٦٣٦م)، وقام هذا الرجل بالتَّضْيِق على اليهود، فمَنَعُهم من أداء شعائرهم الدينية، ومن العمل الزراعي، ومن أن يمتلكوا مزارع كبيرةً لهم، وَجَرَّدَهُم من العبيد والمستأجرين، وأعطى لهم مُهْلَةَ عام للتفكير في اعتناق المسيحية أو الرحيل عن إسبانيا؛ ونظرًا لذلك قرر العديد من اليهود الهجرة إلى الخارج، بينما تظاهر بعضُهم باعتناق الديانة المسيحية؛ حرصًا على أنفسهم وعلى أملاكهم، فكانوا يذهبون إلى الكنيسة لإبعاد الشبُهات عنهم، ولكنهم ظلوا يمارسون شعائر الديانة اليهودية في الخفاء، ويحتفلون بأعيادهم سرًّا. ثم تُوفي الملك سيسبت، وتولى بعده الحكم الملك سوانتلا (..-١٠هـ/٦٢١-٦٣١م)، ولم يكن متعصبًا

---

(١) ميكيل دي ابيالزا، **المستعربون**، الحضارة العربية والإسلامية، تحرير سلمى الجيوسي (ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ج١، ص٢٤٨، Francisco Simont: Historia de los Mozarabes de Espana, Amsterdam, ١٩٦٧, p ٣٨٤؛ Divid Wasserstein: **The Rise and Fall of the Party-King.Polilics and Societun Islamic Spain**, ١٩٨٥,p ٦٣.

(٢) هشام فوزي، **(يهود الأندلس في ظل الحكم الإسلامي)**، مجلة دراسات أندلسية، ع١٥، تونس، يناير ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٩٦.

للمسيحية، فاستغلَّ اليهودُ الفرصة للارتداد عن الديانة المسيحية، وفي فترة حكم الملك الذي بعده وهو سيسنارد (١٠-١٥هـ/٦٣١-٦٣٦م) انعقد المجلس الكنسي الرابع عام (١١هـ/٦٣٢ م)، وفيه تم تجديد قرارت المجلس الكنسي الثالث والمتعلقة بوضع اليهود، إضافة إلى ذلك أصدرت قراراتٌ جديدةٌ بحق اليهود؛ منها: إجبارهم بتسليم أبنائهم عند بلوغهم السابعة إلى الكنيسة؛ لتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية، ويُسلَم كل يهودي ارتد عن المسيحية لأحد المسيحين ليتخذه عبدًا[١]، وفي عهد قانطلا قرر المجلس الكنسي المنعقد بطُلَيْطِلَة طرد اليهود من إسبانيا، وعندما علم اليهود بذلك سارعوا إلى قصر الملك وكتبوا له وثيقة يتعهَّدون فيها بإخلاصهم للكنيسة والملك. ولكن رجال الدين المسيحيين أحسُّوا أن اليهود يمارسون طقوس دياناتهم في السر، ويحتفلون بأعيادهم سرًّا في منازلهم؛ لذلك أُمر اليهودُ بأن يُوجَدوا بالكنيسة تحت مراقبة رجال الدين لضمان عدم احتفالهم بالمناسبات اليهودية، وفي عهد أيرونج (٦١-٦٨هـ/ ٦٨٠-٦٨٧م) أُقصي اليهود من كل المناصب العامة، ووكالة المزارع الكبيرة، وحُرِّم عليهم وعلى عبيدهم العمل في حقولهم أيام الأحد والعطل، وحرم عليهم قراءة الكتب التي تعارض المسيحية وختان أولادهم[٢]!

ورغم كل هذا لم تبلغْ ذروة الاضطهاد لليهود إلا في عهد الملك أخيكا (٦٨-٨٣هـ/ ٦٨٧-٧٠٢م)، فقد جرد اليهود من قدراتهم الاقتصاديَّة، فبيع عبيدهم إلى خزينة الدولة بسعر زهيدٍ، وبيعتْ أية ممتلكات حصلوا عليها من مسيحيين، ومُنِعُوا من مزاولة أعمالهم التجارية، وذلك حتى لا يصبحَ لهم تأثير في الفعاليات الاقتصاديَّة، ولقد اتهم هؤلاء اليهود في عهد هذا الملك بالاشتراك في تدبير مؤامرة مع اليهود القاطنين في الشمال الإفريقي ضد مسيحي إسبانيا[٣]. وعندما فتح المسلمون الأندلس، لم يجدوا مقاومةً من اليهود عند دخولهم إِلْبِيرة، وعند فتحها تركوا معهم طائفة من المسلمين[٤]، ومن الممكن أن اليهود لم يبدوا أي مقاومة لأنهم كانوا فئةً مغلوبةً على أمرها، فربما رأوا أنه من الممكن أن تتحسن أوضاعها بدخول المسلمين.

---

(١) **المرجع نفسه**، ص٩٦.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٩٦-٩٧.

(٣) **المرجع نفسه**، ص٩٧.

(٤) مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، القاهرة: دار الكتاب المصري / بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ، ص٢٢.

ويرى البعض أن هناك اتفاقًا مسبقًا بين المسلمين واليهود على فتح الأندلس، ولكن البعض رفض هذه الفكرة، واعتبرها تهمة من الإسبان لعدة أسباب؛ منها: أنه لو صح ذلك لتفاخر اليهود بذلك! كما أنَّ المؤرخين الإسبان اختلفوا في الجهة التي تَمَّ الاتفاق معها، ولم يكن المسلمون زمنَ انعقاد مجلس طُلَيْطِلَة سنة (٧٥هـ/٦٩٤م) الذي أعلن فيه هذا الاتهام قد أتموا فتح المغرب حتى يُفَكِّروا في فتح الأندلس، ولا يدل التعاون الذي أظهره اليهود مع المسلمين الفاتحين على اتفاق مسبقٍ بينهم؛ لأن يهود الأندلس كانوا على استعداد للتعاون مع كل من يمكن أن يرفع الظلم عنهم، كما أنهم في حالة ضعف واستعباد، ثم إنه ليس اليهود وحدهم هم الذين تعاونوا مع المسلمين، فقد تعاون معهم أبناء الملك غيطشة وأنصارهم، رغبة في الانتقام من لذريق[1] الذي اغتصب حقهم في العرش، وكذلك فعل العديد من الإسبان المظلومين، عندما شاهدوا بأنفسهم سماحة الفاتحين، وسُمُوّ أخلاقهم، وعظمة دينهم، ولم تكن المعاملة الحسنة التي عومل بها اليهود في أثناء الفتح وبعده مكافأةً لهم على ما قدموه للمسلمين كما يتصور البعض، كما أنها ليستْ دليلاً على وجود اتفاقٍ مسبقٍ بينهما يقضي بحسن معاملتهم مقابل الخدمات التي يؤدونها للمسلمين؛ لأن المسلمين قدموا المعاملة نفسها للنصارى، وأَحْسَنُوا إليهم، وهذا الإحسانُ هو الذي جذبهم إلى الإسلام، وجعلهم يدخلون في دين الله أفواجًا، وقد انطلق المسلمون في إحسانهم لليهود والنصارى من مبادئ دينهم الذي يوصي خيرًا بأهل الذِّمَّة، ولو مُيِّز اليهود عن النصارى في المعاملة والحقوق والواجبات لَسَجَّلَتْ كتبُ التاريخ ذلك، لكنهم كانوا متساوين دائمًا في القانون الإسلامي[2]. وكان اليهودُ يَقْطُنون في مُعظم المدُن الإسبانية على هيئة تجمُّعات منعزلةٍ عن المسلمين في الأرباض الخاصة بهم، وكانت أحياؤهم بعيدةً عن الشوارع الرئيسية في المدن الإسلامية، مُشَكِّلةً مراكز منفصلة لها مدخلٌ واحدٌ، أو مداخل قليلة، وكان التخطيطُ المدني لهذه الأحياء يشبه باقي تخطيط المدينة الإسلامية، فالشوارعُ ضيقة جدًّا وبعضُها غيرُ نافذٍ، ومزودٌ بمداخل تغلق ليلاً عُرفت باسم: الدروب، وقد توافرت في

(١) من ملوك القوط الستة عشرة الذين حكموا الأندلس – قبل دخول المسلمين – وهو آخرهم، ويقال: إنَّ آخر ملوك القوط هو وَخشَنْدَش، وكان لذريق من عُمَّاله في قُرْطُبَة فقتله وأخذ ملكه؛ ابن عذارى؛ **مصدر سابق**، ج٢، ص٢-٣.

(٢) خالد الخالدي، **(طلب اليهود من المسلمين فتح الأندلس حقيقة أم ادِّعاء)**، مجلة التراث العربي، ع٩٧، دمشق، مارس، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص ص١٤٥-١٤٧.

أحياء اليهود الكرالات أو الصحون الداخلية التي سميتْ هكذا بالمراجع الخاصة لمستعربي مدينة طُلَيْطِلَة، والكرآلات مفرد كرال، وهو فناء داخلي مزود بمدخل واحد محاط بمساكن، وقد انتشر هذا الأسلوب الخاص بأحياء اليهود في المدن النصرانية، وقد ساعد هذا الوضع على الانعزال وعلى أمن السكان(١).

وكان من المعتاد أن يُخَصَّص مبنى للحمامات في أحياء اليهود يُشبه الحمامات الإسبانية المسلمة، وظل أحد هذه الحمامات وهو أضيقها باقيًا بحي بسطة المعروف فيما بعد بحي سانتياجو، حتى سنوات متأخرة، ترجع إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على وجه التقريب(٢).

وقد سكن اليهود في سَرَقُسْطَة وتُطِيلَة وطُلَيْطِلَة ومَيُورْقَة (Mallorca)(٣) وبَلَنْسِيَة وإِشْبِيلِيَة وغَرْنَاطَة(٤) التي كثرتْ بها التقاليدُ اليهوديةُ، حتى قيل: إنها مدينة اليهود طبقًا لقول الرازي؛ لأنهم كانوا قاطنيها، والإدريسي يطلق نفس الاسم على مدينة طَرَّكُونَة (Tarragona)(٥) التي تسكنها أقلية من النصارى ومدينة أليُسَانَة (Lucena)(٦) وقصر روتا بمحافظة أرغون(٧).

لقد كان تاريخ إسبانيا خلال الفترة من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي سياقًا مسيحيًّا إسلاميًّا يهوديًّا، ومن المستحيل فصله في قوالب منفصلة، أو وضعه في مسارات متوازية ومتوافقة

(١) بالباس، **مرجع سابق**، ص٣١٤.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٣١٤.

(٣) مَيُورْقَة: جزيرة في البحر الزقاقي يقابلها من الجنوب بجاية من بر العدوة ومن الشمال برشلونة من بلاد أَرَغُون، من الشرق جزيرة منورقة، وطولها من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً (١١٢ كيلو مترات تقريبًا)، وعرضها من الجنوب إلى الشمال خمسون ميلاً (٨٠ كيلو مترًا تقريبًا)؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٨٨.

(٤) بالباس، **مرجع سابق**، ص ص٣١٧-٣١٨.

(٥) طَرَّكُونَة: بالأندلس، بينها وبين لاردَة خمسون ميلاً (٨٠ كيلو مترًا تقريبًا)، وهي مدينة أزلية، قاعدة من قواعد العمالَقَة، وجعلها قُسْطَنْطِين في القسم الثالث من الأندلس، وأضاف إليها مدن ذلك القسم، وهي مبنية على ساحل البحر الشامي؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص ص١٢٥-١٢٦.

(٦) أليسانة: مدينة أندلسية، وهي مدينة محصنة ومنها إلى قُرْطُبَة أربعون ميلاً (٦٤ كيلو مترًا تقريبًا)؛ أبو عبدالله محمد الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (د.ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) م٢، ص٥٧١.

(٧) بالباس، **مرجع سابق**، ص٣١٣

زمنيًّا، فكل واحدة من هذه المجموعات السلالية الثلاث كانتْ متأثِّرة وجوديًّا بالظروف التي عليها المجموعات الأخرى(١).

وعلى الرغم مما تمتع به أهلُ الذِّمَّة في الأندلس من حُسن مُعاملة من قِبَل المسلمين، إلا أن كثيرًا من الأبحاث الاستشراقية اعتبرتْ أن الدول الإسلامية في الأندلس تميزتْ في سياستها بالتسامح تجاه أهل الذِّمَّة، وأن هذه السياسة لازمَتْ كل الدول التي حكمت الأندلس(٢)، والحقيقةُ أن أهل الذِّمَّة في الأندلس تمتعوا بمزايا وحقوق لم يحظوا بها في عصورهم السابقة، في حال التزامهم بمتطلبات عقد أهل الذِّمَّة.

أهل الذِّمَّة في الحياة السياسيَّة والإداريَّة:

شارَك أهلُ الذِّمَّة في الحياة السياسيَّة والإداريَّة في دول الطوائف؛ كوزراء، وكُتَّاب، وسفراء، وموظفين إداريين في سلك الدولة، وسنعرض بعض النماذج من شخصيات أهل الذِّمَّة الذين شاركوا في الحياة السياسيَّة والإداريَّة في عصر ملوك الطوائف، وهم على النحو التالي:

(١) أمريكو كاسترو، **إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود**، ترجمة علي إبراهيم منوفي (ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٥٣٨.

(٢) توماس أرنولد، **تراث الإسلام**، ترجمة جرجيس فتح الله (بيروت: دار الطليعة، د.ت) ص ص٢٨-٢٩.

١) صاموئيل بن جوزيف هاليفي (إسماعيل بن يوسف الناغيد)[١]:

وصل هذا الشاب اليهودي إلى مَالَقَة سنة ٤٤٠هـ/١٠١٣م على إثر تيارات الهجرة اليهودية التي خرجتْ من قُرْطُبَة سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م[٢]، ودرس التلمود على يد الرُّبَّان هانوخ الرئيس الروحي للجالية اليهودية، ثم درس الأدب العربي[٣]، ونظم الشعر بالعربية والعبرية، كما درس العلوم الأخرى؛ كالفلك، والهندسة، والمنطق، وقرأ القرآن، وعددًا من كتب الفقهاء المسلمين، وألم ببعض دراسات النصارى عن الإنجيل[٤].

استقر الناغيد بمَالَقَة، وكان له دكان قريبٌ من قصر وزير غَرْناطَة أبي العباس، يبيع فيه التوابل، وقيل: إنَّ جاريةً طلبتْ منه أن يكتب خطابًا إلى ملك غَرْناطَة حَبُّوسَ فكتبه لها، وعندما وصل الخطاب إلى الوزير أبي العباس أُعْجِبَ بالأسلوب البليغ في الكتابة، فسأل عن كاتب هذه الرسالة فعلم أنه اليهودي، فطلب منه الانتقال معه إلى غَرْناطَة [٥]، وتولى جباية الأموال لهذه المملكة[١]، وقد كسب الناغيد ثقةَ

---

(١) كان لدى المؤرخين المسلمين لبس بين إسماعيل الأب ويوسف الابن، وكان سبب هذا اللبس هو اللقب الذي لُقِّبَ به هؤلاء الاثنان، وهو لقب الناغيد أي (المدبر بالعربية)، إضافة إلى أنهما توليا نفس المنصب، وهو منصب وزير لحاكم غَرْناطَة، أيضًا كانتْ هناك مشكلة في رسم اللقب في جميع المصادر الإسلامية (ابن نغرالة) في التبيان وأعمال الأعلام، و(نغزالة) في البيان المغرب، و(الغزال) في الطبقات لابن صاعد، و(ابن نغرلة) في مغرب ابن سعيد، و(ابن النغريلي) عند ابن بسام، (وابن نغداله) عند دوزي، و(ابن نفريلة) بأصل المخطوط من رسالة ابن حزم، ولكن اللقب الصحيح الذي يرجح هو ابن نغدلة أو ابن نغدال لقرب هاتين الكلمتين من الأصل العبري للكلمة، ولأن إضافة اللام والهاء أو الألف واللام إلى الاسم صيغتان تستخدمان في اللغة العبرية للتدليل والتصغير، فهم يقولون لمن اسمه "موشي" "موشله"، وذلك كقولنا في العربية "عُمير" تصغيرًا وتدليلاً لمن اسمه عمر؛ أبو الحسن علي بن بسام الشَّنْتَريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، نشر وتحقيق إحسان عباس، (ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ، ق١، م٢، ص٧٦٧؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، نشر وتحقيق إحسان عباس (ط٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ج٣، ص٤؛ ريموند شايندلين، **اليهود في إسبانيا المسلمة**، الحضارة العربية والإسلامية، تحرير سلمى الجيوسي، (ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ج١، ص ص ٣٠٤-٣٠٥؛ خالد الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس**، (غزة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م)، ص١٥٣.

(٢) **الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٤٩.

(٣) رينهارت دوزي، **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**، ترجمة كامل كيلاني (ط١، القاهرة: مكتبة ومطبعة عيسى البابي، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ص٣٩.

(٤) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٤٩.

(٥) **دوزي، مرجع سابق**، ص٤٠.

الوزير أبي العباس لتحقيقه نجاحًا في جباية الأموال، فامتدتْ سُلطته حتى أصبح له قرارٌ نافذٌ في تعيين الموظفين في الدولة، حتى إنه أرسل إلى قاضي اليهود في مَالَقَة الحبر بعض اليهود للعمل معه في جباية الأموال بغَرْناطَة(٢)، وقد يكون سببُ إقدام الناغيد على هذه الخطوة لحاجته إلى مساعدين من بني جلدته، وأشخاصٍ يثق بهم، حتى يوطد نفوذه في حكومة غَرْناطَة.

بدأ نفوذ وقوة الناغيد في الظهور بتسلُّطه على اليهود خاصَّة في جباية الأموال منهم، مما دفعهم إلى رفع تقارير لحكومة غَرْناطَة تكشف تجاوزات الناغيد وطرقه غير المشروعة التي أدتْ إلى ثرائه الفاحش، وتم إثبات ما جاء في التقارير، وبالفعل تم سَجْنُه عام ٤١١هـ/١٠٢٠م. ثم أطلق سراح الناغيد، وفرضت عليه غرامةٌ مالية كبيرة، وجُرِّد من منصبه، وبقي إسماعيل بغَرْناطَة يأمل أن يعيده الوزير إلى منصبه، وأعاده فعلاً حتى أصبح سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م مسؤولاً عن جمع الجِزْيَة من اليهود بغَرْناطَة(٣).

كان الناغيد رجلاً مميزًا لدى الحكومة الغرناطية، فبعد خروجه من السجن لم تجدْ ضيرًا في إعادته إلى السلطة، بل أَعْطَتْهُ الحقَّ في تصحيح الأمور التي بَدَرَتْ منه تُجاه اليهود؛ وهذا يدُلُّ على مِساحة التعايُش التي كانتْ تَتَمَتَّع بها دولة بني زيري في غَرْناطَة، أيضًا كان سجنُ اليهودي دليلاً كبيرًا على اهتمام الدولة برعاياها اليهود، فقد رأت الظلمَ الذي حلَّ بهم من الناغيد، وعلى أثر ذلك تمت معاقبته.

أحسَّ الوزير أبو العباس بدنوِّ أجله، فأخبر ملك غَرْناطَة عندما زاره أن النصائح التي كان يرشده بها في الآونة الأخيرة ليستْ صادرةً منه، بل من إسماعيل اليهودي الذي كان مستشارًا خاصًّا له، وطلب منه أن يُعَيِّنَهُ وزيرًا حتى يساعدَهُ في أمور الحُكم(٤)!

فقرب باديس هذا الرجل لما لديه من مميزات وجدها فيه ككاتب، حتى أصبح وزيره الخاص، لاسيما وأنه اكتشف مؤامرةً يُراد بها الإطاحة به، فأصبح مقربًا له،

---

(١) ابن بسام، **مصدر سابق**، ق١، م٢، ص٧٧٦.

(٢) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٥٠.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ص١٥٠-١٥١.

(٤) دوزي، **مرجع سابق**، ص ص٤٠-٤١.

وشاوَرَهُ في أكثر الأمور التي تخص أبناء عمه[١]، وهكذا نجد أن الناغيد كان مُطَّلَعًا على شؤون الحكم، واستطاع التدرج شيئًا فشيئًا في المناصب الحكومية، فمِنْ كاتبٍ إلى جامع للجزية إلى وزير.

وامتدتْ سلطة الناغيد إلى وزراء الدولة أمثال علي وعبدالله القروي[٢]، فكان يستعين بهم ويُشاورهم، ويأذن لهم في ملازمة باديس، وتقديم المشورة له، ويذكر في سبب تقريب باديس له أنه كان يَتَمَتَّع بالحكمة والمدارة للناس، فاستخدمه لخوفه من طمع بني عمه، ولأنه ذميٌّ لا يُفَكِّر في الولاية، ولاحتياجه للمال حتى يقوي سلطته، وكان هو الوسيط بين الحاكم ويهود غَرْناطَة فكان يجبي الأموال منهم[٣].

كان عهدُ باديس بالنسبة لليهود عهد السلطة والنفوذ، خاصة للناغيد وعماله من ملَّتِه الذين تَسَلَّموا وظائف في دولة بني زيري، وكسبوا على إثرها الجاه والمال[٤]، ولكن على الرغم من تمكن الناغيد السياسي في مملكة غَرْناطَة، إلا أنه لم يراعِ مشاعرَ المسلمين، فقد ذكر ابنُ بَسَّام[٥] أنه كان يطعن بالملل، ويتطاول على دين الإسلام ومقدساته، حتى إنه ألف كتابًا في الرد على أبي محمد بن حزم، وجاهر بالطعن بالإسلام، واستهزأ بالمسلمين، وقد كانت هناك معارَضَةٌ قوية على تولي الوزير اليهودي هذا المنصب، وبُذِلَتْ مُحاولات عديدةً لإزالته من منصبه، لكن دون جدوى[٦].

---

(١) ابن بلقين، **مصدر سابق**، ص ص٣٠-٣١.

(٢) كانا وزيرين للمظفر باديس وقائدي العسكر، وإليهما كان يرجع الرأي في أمور الفتن، وكان إسماعيل اليهودي يأذن لهما ويستعين بهما، فلما تُوُفِّي إسماعيل ترك ابنه يوسف، ووصاه بالسعي لهلاك الوزيرين، وعرض عليه أبواب حتف كل واحد منهما، لما كان بأيديهما من البلاد واستئثارهما بالجبايات؛ **المصدر نفسه**، ص ص٣٦-٣٧.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ص٣١-٣٧.

(٤) ابن عذارى، **مصدر سابق**، ج٣، ص٢٦٤.

(٥) ابن بسام، **مصدر سابق**، ق١، م٢، ص٧٦٦.

(٦) كان وزير المَرِيَّة آنذاك أحمد بن عباس من أشد المعارضين للناغيد كوزير دولة، فأرسل خطابًا إلى حكومة غَرْناطَة يطلب في عهد حَبُّوسَ بن مَاكْسِنْ طرد هذا الوزير، كما أرسل رسالة أخرى إلى رؤساء قبيلة صنهاجة التي ينتمي إليها حَبُّوسَ بأنهم يخالفون أوامر الله ورسوله بوضع هذا الرجل في منصب وزير، وأيضًا دعا إلى إبعاد جميع اليهود عن وظائف الدولة، إلا أنه ركز على إسماعيل الناغيد، مذكرًا بأنه أصل الشر، وفي عهد باديس استمر وزير المَرِيَّة في محاولاته لإبعاد الناغيد عن منصبه، فبعث برسالة إلى باديس يبين فيها الإثم الكبير الذي وقع فيه عندما ولى وزير يهودي رقاب المسلمين، ووضح أن إبعاد هذا اليهودي سيؤدي إلى إحلال السلام بين المملكتين، وأن بقاءه سيزيد من الأزمة بين المملكتين ومن حولها من الملوك المتحالفين، هنا يقصد أحمد بن عباس معاهدة المَرِيَّة مع أمارة قَرْمُونَة، والتي كان باديس يخشى على مملكته من خطرها؛ الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص ص١٥٦- ١٥٩.

شارك الناغيد في الكثير من المعارك التي خاضتها غَرْناطَة ضد مملكة إِشْبِيلِيَة وقَرْمُونَة، وكان كلما حقق انتصارًا كتب قصيدة بالعبرية يُصَوِّر فيها أحداثَ المعركة، ودوره فيها، ومنها انتصاره على إِشْبِيلِيَة سنة ٤٣١هـ /١٠٣٩م، وقد صور الناغيد أحداث هذه المعركة التي شارك فيها بقصيدة من ١٤٩ بيتًا[١].

مرض إسماعيل الناغيد وتوفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، فبكا اليهود على موته، وأقاموا له جنازةً كبيرةً، نكس اليهود أعناقهم فيها من حزنهم على فراقه[٢]، وكان لليهود حقُّ التعبير عن حزنهم، فلم تمنعهم حكومة غَرْناطَة عن ذلك، فقد نظر الإسلام لحقوق الفرد والجماعة، فأعطى الإسلام حقَّ التعبير للجميع في كافة الأمور.

لم يجحف المؤرخون المسلمون حق الناغيد، بل ذكروا أنه يتميز بالذكاء، والتبحر في العلوم الدينية، والرياضية، واللغوية، ويعد تعلم هذا الرجل القرآن واللغة العربية دليلاً على تقارُب البيئات الدينية في المجتمع الأندلسي، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أن المجتمع الأندلسي كان مجتمعًا متقاربًا جدًّا بجميع طوائفه الدينية، ولم يكن من المستغرب تولي هذا اليهودي منصبًا حكوميًّا بقي فيه نحو (٣٧) سنة مشاركًا في الحياة السياسيَّة في الأندلس.

٢) يوسف بن إسماعيل بن نغدلة:

تولى الوزارة بعد الناغيد ابنه يوسف بن نغدلة، وكان يكنى بأبي حسين، واهتم إسماعيل بتعليم ولده، فجمع له المعلمين والأدباء، وحمله على مطالعة الكتب، وحرص على أن يكون ولده كاتبًا حتى يحل مكانه، فتعلَّم فنَّ الكتابة، ورَشَّحَهُ لها عند بلقين تمهيدًا لخلافته لمنصب الناغيد[٣].

وأراد هذا الرجل أن يحلَّ مكان أبيه، فاجتهد في جمع الجِزْيَة من اليهود، واستخدمهم في الأعمال[٤]، وأصبح كبيرَ وزراء غَرْناطَة ورئيسًا أو ناغدًا للطائفة اليهودية، رغم أن عمره لم يتجاوز (٢١) سنة[٥]، وزادت منزلةُ هذا الرجل لدى باديس

(١) **المرجع نفسه**، ص١٦٢.

(٢) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٤٣٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٣٩.

(٤) **المصدر نفسه**، ج١، ص٤٣٩.

(٥) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٦٣.

حتى أصبحَ الناصحَ الأول لديه، فاستطاع أن يُغَيِّرَهُ على وزراء الدولة؛ علي وعبدالله القروي، فأبعدهما من مناصبهما(١).

وشيئًا فشيئًا أصبح ابن نغدلة من أهم رجال دولة باديس، فأوكلتْ له قيادةُ الجيش في الحرب، وكان يَصْحَبُه في زياراته المتكررة إلى قُرْطُبَة، فيحظى معه بالإكرام والتبجيل، أيضًا قلد يوسف الملوك في ملبسهم ومركبهم ومسكنهم، وفي كل مظاهر ترفهم، فقد اتخذ قصرًا فخمًا على التل العالي في غَرْناطَة، الذي أقيمت عليه قصور الملوك النصريين(٢) فيما بعدُ(٣).

سلم يوسف مناصبَ رفيعةً لليهود، وزاد من نفوذهم، حيث كانتْ لهم سلطة جمع الجبايات من غَرْناطَة وأعمالها، حتى إن الناس كانوا يَتَوَجَّهون إليه مباشرة لقضاء حوائجهم، فقد أصبحت غَرْناطَة كلها بيده، ونهج هذا الرجل نهج أبيه في السخرية من المسلمين ودينهم، فشاركه الكثير من اليهود، خصوصًا أصحاب الوظائف والمناصب الذين ازدادوا في عهده(٤)، كما أقام في قصره الحفلات الماجنة دون مراعاة لمشاعر المسلمين من حوله، وكان يُغْدِقُ بالأموال على الشعراء العرب واليهود الذين كانوا يكتبون القصائد في مدحه(٥) ، ووسع المكتبة التي ورثها عن أبيه، فأصبحتْ تَضُمُّ كتبًا من مختلف العلوم الإسلامية، وكان له وراقون ينسخون له الكتب براتب رسميٍّ لهم مِنْ قِبَل الدولة(٦).

واستطاع يوسف بن إسماعيل أن يوقع بين باديس ووزرائه – التواقين – للتخلص منه بعد وفاة باديس، فقد صور اليهودي لباديس أن أولاد القروي زينوا لابنه

(١) ابن بلقين، **مصدر سابق**، ص ص٣٨-٣٩.

(٢) يرجع نسب بني نصر إلى سعد بن عبادة سيد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول ملوكهم هو الغالب بالله أبو عبدالله محمد بن يوسف بن نصر ملك غرناطة عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م، وآخر ملوكهم هو محمد بن علي الذي سلم غرناطة للإسبان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م؛ أبوعبدالله محمد لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران (ط١: بيروت، دار المدار الإسلامي،١٤٣١هـ/٢٠٠٩م) ص٥٧؛ مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ضبطه وعلق عليه ألفريد البستاني (ط١:القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)ص٤١.

(٣) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٦٣.

(٤) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص ص٢٣٢-٢٣٣.

(٥) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٦٤.

(٦) ابن عذارى، **مصدر سابق**، ج٣، ص٢٧٦.

الإدمان على الخمر حتى هلك، فقرر معاقبتهم ونفيهم من وطنهم وأخذ أموالهم، وقتل بعض وزراء بلقين، كل هذا يَدُلُّ على نفوذ ذلك اليهودي القوي، فقد بنى له صرحًا قويًّا في غَرْناطَة، وكان يتخلص من منافسيه بسهولة، بعد ذلك لم يستطع باديس النظر في أمور الحكم؛ لكبر سنه؛ ولموت ابنه، فسلم مقاليد البلاد عمليًّا لابن نغدلة[١]!

كان مَاكْسِن بن باديس من أشد أعداء يوسف، فخاف اليهودي على نفسه من وصول مَاكْسِنْ إلى السلطة؛ فبذلك ستكون نهايته، وكان مَاكْسِنْ يُحِسُّ بهذا العداء الشديد، ولم يكن أهل غَرْناطَة يكنون أي احترام ومودة لمَاكْسِنْ؛ لأنه كان «سيئ الطريقة، قليل البر، خشن الكلام، يعد الناس بالشر، وكثر عليه الطلب عند أبيه»؛ لذلك تجرأ عليه ذلك اليهودي، وانتهى الأمر بالتخلص منه وإجلائه [٢].

ولم يستمرَّ الوزير اليهودي يوسف بن نغدلة في مكانته، حيث ظهر له منافسٌ قويٌّ يعرف بالناية، وهو عبدٌ كان للمعتضد بن عباد، وكان من الذين اتفقوا على غدره مع ابنه إسماعيل، فسار بأحسن سيرة بخدمة الدولة، وتم الثناء عليه أمام باديس لحسن سيرته وتواضعه فعَيَّنَهُ على خدمته، واستطاع هذا الرجلُ أن يستوليَ على مالقة، فزاد ذكرُه لدى باديس، وضاعف من الإحسان إليه، وكان إذا أتى مالقه نزل بداره، وكان الناية يحرض باديس على قتل اليهودي بقوله: «قد أكل مالك، وتملك بأعظم من مالك، وبنى خيرًا من قصرك، فالله الله في إزاحته والتحبب إلى المسلمين بفقده، فقال باديس: لا بد لي من ذلك وأوكلك على قتله»[٣].

فعلم بذلك اليهوديُّ، فزاد حقده على الناية وعلى المنزلة التي وصل لها لدى باديس، فخاف على سلطانه من الهلاك، وقرر أن يُشاورَ مشايخ اليهود من أهل الرأي، فأشاروا عليه بالفرار، إلا أنه فضل أن يوقعَ بينه وبين ابن صمادح صاحب المرية، وقد تَمَّ اكتشاف المؤامَرة، والإيقاع باليهودي وقَتْله[٤].

---

(١) ابن بلقين، **مصدر سابق**، ص٤٢.

(٢) **المصدر نفسه**، ص٤٨-٤٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ص٤٦-٤٧.

(٤) يقال: إنه اختفى في بيت فحم وسود وجهه وتنكر حتى لا تعرفه العامة لكنهم عرفوه وقتلوه وصلبوه على باب المدينة؛ ابن عذارى، **مصدر سابق**، ج٣، ص٢٦٦.

وبمقتل يوسف ابن نغدلة ورجاله فقَد اليهودُ مركزهم الثاني، وهي غَرْناطَة، وكانوا قد فقدوا مركزهم الأول وهي قُرْطُبَة في عصر الخلافة، وانتقل مَن بَقِيَ من يهود غَرْناطَة إلى إِشْبِيلِيَة؛ حيث أصبحتْ مَركزَهم الثالث(١).

وتسلم ابن نغدلة مركزًا مهمًّا في الدولة الإسلامية، وهذا يُعدُّ مؤشرًا على مدى ما حظي به أهل الذِّمَّة في هذه الفترة التاريخية من مساحة كبيرة في التعايُش، وإعطاء الفرصة في المشاركة في القرار السياسي، حتى وإن كان إعطاء هذا القدر من هذه المساحة للمشاركة قد أثر سلبًا بلا شك على الوجود الإسلامي في الأندلس وأسهم في إضعافهم، إلا أنه أعطى صورة واضحةً للتعايش في الحياة السياسيَّة آنذاك.

٣) الكاتب أبو الفضل حسداي بن يوسف:

تنوعتْ مشاركة أهل الذِّمَّة في الحياة السياسيَّة بين تقلُّد منصب الوزارة، والقيام بمهام الكتابة لأمراء الطوائف، ولا يَنْبَغي أن تُفْهَم كلمة كاتب على ما يُفْهَم منها في عالم الإدارة اليوم، لأنه يتَّسع لما هو أكثر من تسجيل أحكام القاضي، فهو شريكُه في الرأي، وأمينُه، ومساعدُه، ونائبُه إذا تخلَّف أو غاب(٢)، ومن هؤلاء الذين تمتعوا بهذا المنصب أبو الفضل حسداي بن يوسف، كان هذا الرجل من سكان سَرَقُسْطَة من يهود الأندلس، يتصل نسبه بالنبي موسى عليه السلام، اهتمَّ بالعلم منذ صغره فأحكم (علم لسان العرب)، واهتم بصناعة الشعر والبلاغة، وبرع في علم العدد والهندسة والنجوم، واهتم أيضًا بالموسيقا، ودرس علم المنطق، وتمرس بالبحث والنظر وعلم الطبيعة، وقرأ كتاب الكيان لأرسطوطاليس، وكتاب السماء والعالم، واهتم بعلم الفلسفة وفنون الحكمة وهو لا يزال فتى(٣).

وقد صحب هذا الرجلُ المقتدر بن هود صاحب سَرَقُسْطَة (٤٣٨-٤٧٥هـ/١٠٤٦-١٠٨٢م)، فقد كان وزيره وكاتبه، له عدة رسائل بالغ فيها في مدح

(١) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٧٣.

(٢) الطاهر أحمد مكي، **دراسات أندلسية**، (ط٣، القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص٦٨.

(٣) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، **طبقات الأمم**، نشرة الأب لويس اليسوعي، (د. ط، بيروت: المطبعة الكاثولكية، ١٣٣١هـ/١٩١٢م) ص٩٠؛ أبو العباس أحمد بن أبي أُصَيْبِعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، (ط١، القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م) ص ص٥٠-٥١.

حاكمه المقتدر، تولى كتابة جميع خطابات المقتدر، لبلاغته وتفننه في الكتابة[١]، ويذكر ابن سعيد[٢] أن هذا الرجل كان له باعٌ في تعاليم التوراة، وأنه أسلم.

تَمَيَّز هذا الوزيرُ في بلاط بني هود، وأثنى عليه ملك من ملوك الطوائف، وهو صاحب بَلَنْسِيَة أبو عبدالرحمن بن طاهر، فذكر لنا صفة هذا الوزير في رسالة بعثها إلى المقتدر بن هود بأنه راجح العقل، وصاحب حكمة، «والوزير الكاتب أبو الفضل، وحيد الفضل وينبوع النبل»، وما عداه قول القائل: «إن أبا الفضل له فضله، وأين في الناس فتى مِثْلُه»[٣].

كانتْ علاقةُ أبي الفضل مع المقتدر علاقةً طبيةً، فكان يزكِّي مَن يرضى عنه للمقتدر بن هود، حتى يحصل على وظيفة، ففي رسالة للمُقْتَدر يَمْدَحُ فيها شَخْصًا، ويذكر خصاله وبراعته وعلمه، وأنه من المفروض أن يُقَرِّبَهُ له خاصَّة بأنه يمتلك هذه الخِصال[٤].

تَرَكَّزَتْ أهميةُ هذا الوزير في كتابته لمُعظم خطابات المقتدر الرسمية، فقد كان كاتبًا أكثرَ من كونه وزيرًا، ولكن لم يَبْقَ الحالُ كما هو عليه فقد قرَّر هذا الوزيرُ الرحيلَ من سَرَقُسْطَة، فأرسل رسالةً يَعْتَذِر فيها إلى ابن هود، ولم يَذْكُرْ أسبابَ رحيله، فردَّ عليه ابن هود برسالة طيبة يُعاتبُه عتاب المحب على قراره الغريب، وعلى تسرُّعه لمُغادَرة سَرَقُسْطَة من دون أن يفهمَ أسبابَ هذا الرحيل[٥] وبذلك انقطعتْ أخبار أبي الفضل حسداي بعد مُغادَرَته سَرَقُسْطَة[٦].

٤) الوزير أبو عامر بن غند شِلْب:

وهو وزيرٌ نصرانيٌّ في بلاط المقتدر بن هود، وكان أديبًا وشاعرًا، وكثيرًا ما كان المقتدرُ يُرْسِلُه في مُهمات سياسية لملوك الطوائف[٧].

---

(١) ابن بسام، **مصدر سابق**، ق٣، م١، ص ص٤٧٩-٤٨٥.

(٢) **مصدر سابق**، ج٢، ص٤٤١؛ أحمد بن محمد المقري التِّلِمْساني، **نفح الطِّيب من غُصن الأندلس الرَّطيب**، نشر وتحقيق إحسان عباس (د. ط، بيروت: دار صادر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ، ج٣، ص٢٩٣.

(٣) ابن بسام، **مصدر سابق**، ق٣، م١، ص ص٤٥٨-٤٥٩.

(٤) **المصدر نفسه**، ق٣، م١، ص٤٦٨.

(٥) **المصدر نفسه**، ق٣، م١، ص ص٤٦١-٤٩٤.

(٦) الخالدي، **اليهود تحت حكم المسلمين**، ص١٨٦.

(٧) المقري، **مصدر سابق**، ج٣، ص٤٠٥.

٥) أبو الربيع النصراني «كاتب حشم»:

ذكر ابن بلقين شخصًا اسمه أبو الربيع النصراني، كان كاتبًا في حكومة باديس بغَرْناطَة تحت مسمى: «**كاتب حشم**»، وكان هذا الرجلُ تحت سلطة إسماعيل، أو ابنه يوسف بن نغدلة، ولكنه ترك هذه الوظيفة واستقر في دَانِيَة[١].

٦) وزير يهودي لصاحب المَرِيَّة:

امْتَدَّت المناصبُ الوزارية إلى المَرِيَّة، فذكر الضبي[٢] عن الفقيه أبي محمد عبدالله بن سهل بن يوسف (إمام في القراءات والتجويد)، حينما كان بالمَرِيَّة فدخل الحمام في يوم من الأيام فوجد الوزير اليهودي لصاحب المَرِيَّة، وكان له خادمٌ اسمه محمد، وهو يناديه يامحمدال، فلم يتمالك الفقيه نفسه فضربه بحجرٍ في رأسه فقتله؛ ظنًّا منه أن اليهودي يتعمد تصغير اسم الصبي لإهانة الرسول ﷺ.

٧) السفير ششندو دافيداس: Sisnando Davides

لم تقتصر المناصِبُ الإداريَّة فقط على اليهود، بل كان للنصارى نصيبٌ منها، فقد كان للمعتضد سفيرٌ من المستعربين، وهو ششندو دفيداس (أوششند)، أصلُه من مقاطعة بيرة شمال البرتغال، أسر وهو فتى صغير في غارة قام بها القاضي ابن عباد في منطقة قُلُمْرِيَة(Coimbra)[٣]، ، وتَمَّ أخذه إلى إِشْبِيلِيَة ورُبِّيَ مع فتيان القصر، وعندما تولى المعتضد المُلك قدر مواهبه ومعرفته بشؤون الجزيرة الأيبيرية، وقربه منه وأصبح سفيره، وأحد معاونيه[٤].

تميَّز ششندو بالذكاء، وأصبح سفيرًا بين المعتضد وفرناندو الأول، وقد وصفه ابن بسام[٥] بأنه: «جمرة الذكاء، بعيد المذهب بين الجرأة والنكراء»، وكانت له امتيازات في بعض الأمور كأن يحل ويعقد في مسألة بين البلدين، وكثيرًا ما كان المعتضد يأخذ بمشورته.

---

(١) ابن بلقين، **مصدر سابق**، ص٦٦.

(٢) أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** (د. ط، القاهرة: دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ص٣٤٥-٣٤٦.

(٣) قُلُمْرِيَّة: بالأندلس من بلاد البُرْتُقَال، بينها وبين قُورِية أربعة أيام. وهي على جبل مستدير، وعليها سورٌ حصين، ولها ثلاثة أبواب، وهي في نهاية من الحصانة، ومكانها في رأس جبل تُرابٍ، لا يمكن قتالها. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٩٤.

(٤) عنان، **دول الطوائف**، ص٥٨.

(٥) ابن بسام، **مصدر سابق**، ق٤، م١، ص١٦٦.

وارتفع في ذلك الوقت شأن هذا الرجل؛ مما أثار حفيظة المعتضد عليه؛ وخوفًا من أن يزداد نفوذه أكثر فأكثر، عزله عن منصبه؛ مما دفع به للخروج إلى أرض النصارى بالتحديد إلى مدينة جِلِّقِيَّة(Galicia)[١] ، ومعه كل أسرار الدولة العبادية، وأسرار ملوك الطوائف أنفسهم – فقد كان رجلَ دولة، وتصله جميع الأمور المتعلقة بالحكم والسياسة، وانتقل إلى بلاط فرناندو الأول وخدمه حتى توفي، وأتى ابنه من بعده ألفونسو السادس، فضمه إلى معاونيه وكبار مستشاريه[٢]، وكان السبب في تقريب هذا السفير هو معرفته التامة باللغة العربية والدين الإسلامي وأحوال المسلمين وعاداتهم[٣].

وعندما قرر ألفونسو السادس الاستيلاء على طُلَيْطِلَة استفاد من ششند، وفي أثناء إقامته في بلاط إِشْبِيلِيَة كان يعرف طريقة تفكير ملوك الأندلس وصراعاتهم فيما بينهم، ويعرف مداخل الأندلس ومخارجها، فلم تَفُتْهُ صغيرةٌ ولا كبيرةٌ، وعندما أَحَسَّ مُلوكُ الطوائف بخطر ألفونسو أتى أعيان منهم لمقابلة ألفونسو، ولكن استقبلهم ششند بدلاً عنه، فقال لهم «إلى متى تتخادعون وبأي شيء تطمعون؟ قالوا: «بنا بغية، ولنا في فلان وفلان أمنية، وسموا له بعض ملوك الطوائف فصفق بيديه، وتهافت حتى فحص برجليه، ثم قال: أين رسل ابن عباد؟ فجيء بهم يرفلون في ثياب الخناعة، وينبسون بألسنة السمع والطاعة، فقال لهم: منذ كم تحومون علي وترومون الوصول إلي؟» [٤]، وتُظْهِرُ لنا هنا هذه الرواية أنَّ رجال البلاط العبادي كانوا يكنون العداء للوزير السابق، فكانوا يحيكون المؤامرات من ورائه، حتى يقوم ابن عباد بعزله، واستغل ششند هذه الفرصة للقائهم وإهانتهم.

أصبح ششند حاكم طُلَيْطِلَة بأمر من ألفونسو، واستمال هذا الرجل العامة من أهلها، وقربهم له، وتعامل معهم بالرفق واللين؛ نتيجة لتلك السياسة تَنَصَّرَ جزءٌ منهم؛ لتأثرهم بحسن معاملته لهم، وكثيرًا ما كان يطلب من ألفونسو معاملة أهل طُلَيْطِلَة معاملة حسنةً، وأن يُداريهم حتى لا يثوروا عليه، ويتقبلوا حكمه، لكن ألفونسو كان يرفض ذلك تمامًا [٥].

---

(١) جِلِّقِيَّة: وهي بلاد بالقرب من ساحل البحر المحيط من ناحية شمال الأندلس في أقصاه من جهة الغرب؛ الحموي، **مصدر سابق**، ج٢، ص١٥٧.

(٢) **المصدر نفسه**، ق٤، م١، ص١٦٦.

(٣) عنان، **دول الطوائف**، ص٣٨٥.

(٤) ابن بسام، **مصدر سابق**، ق٤، م١، ص١٦٦.

(٥) **المصدر نفسه**، ق٤، م١، ص ص ١٦٦–١٦٨.